# الطيور الصغيرة

قصة بقلم محمد حافظ رجب

صرخت « حميدة » في همس مكتوم وهي ترفع يدها في وجهي .. وتهم بفلق الباب :

ـ ارجع .. ارجع فالرجل هنا ..

الرجل ؟ ياه ! .. أهو هنا ؟ .. سكين ؟ وعنق مقطوع يقطر دما.. وعربة اسعاف تجري بجثتي قبل ان افارق الحياة في شارع بظاظا بامبابه لتخرج بي من هنا ... ليكن ما يكون !

.. ازحت يدها .. ودفعت الباب ودخلت قائلا :

ـ وماذا في وجوده ؟

.. خطوت الى الداخل .. ارتحت لما وقعت عيني على سكين المطبخ .. ترقد في سكون فوق المائدة .. ليس بجانبها اصابع انسان.. مدة امتار لكي تقبض عليها الاصابع !

... تجمدت حميدة في مكانها مشدوهة .. نظراتها تخترق ظهري : حيوان .. حيوان .. هكذا كنت طول عمرك .. حتى في تلك اللحظات وانا اقدم لك قطع السلمون في حجرتك التي اسكنها الان .. القيت بالطبق في وجهي .. اتذكر ؟ .. اتذكر ..لكن كان في حجرتكم لحظتها رجل تلاعبينه الكوتشينه فوق سريرك ولا احد معكما ..

.. كان زوجها جالسا في داخل الحجرة مطرق الرأس .. حوله بعض الرجال .. رفع رأسه ببطء لما رآني .. سلم علي .. جلست .. سددت اليه عيني على الفور .. احتميت وراء نظراتي لئلا انكشف ويظهر كل شيء على وجهي .. غطيت اعماقي لئلا يرى كل ما اخفيته تحت الغطاء : « هناك سلم .. عدد درجاته مائة تنتهي الى القاع .. في اسفل صوت مياه المجاري يصم الاذان » .

.. قلت وعقلي يلتقط الكلمات بعناية وحذر :

ـ ايه يا رجل ؟ .. ماذا جرى لكما .. كيف يحدث ذلك وانتما قد عجزتما ؟!

.. تطلع في انسان عيني برهة .. ثم خفض عينيه الى الارض .. وتشابكت اصابعه : « يا افندي يا واطي .. يا ابن الواطي .. يا عجينه .. يا ميه من تحت تبن .. لولا البدله .. وبساطتك .. وابتساماتك .. لقمت وضربتك .. وسيحت لك دمك ! »

.. قال :

ـ يا اخي اعمل ايه ؟ .. انا لا اطيق الزعيق .. منذ الحادث الذي اصبت فيه : في رأسي .. وانا عسكري في البحرية .. ضربتها قلما .. فصرخت .. فجاءت امها من خلفي ورفعت فوق قفاي الحذاء وهي تصيح : تضربها يا ابن الكلب ! .. ولم أشعر بنفسي .. انفجر الالم الذي في رأسي منذ ايام البحرية .. وفقدت وعيي .. وهويت بيدي عليها وعلى امها وانا العنهما .. هذا ما حدث .. وانا مخطىء ..ولكني احتمل عذاب الموت ولا الزعيق ...

.. انا الاخر كان سينزل فوق قفاي هذا الحذاء .. انا الاخر كانت امنيتي وانا في هذا البيت ان اضرب امك : ام حميده ! ..ضربتك يا حميده .. وضربت اختك.. ولم تسعدني الظروف واضرب امك !! قلت ..

.. قلت وانا التقط حبات الخرز بعناية واضعها بين حبات العقد.. وعيناي تضعان ثقلا فوق غطاء القاع لئلا تتسلل من تحته حركة واحدة تكشفني :

ـ ولكن لم حدث كل هذا ؟ .. من الباب للطاق ؟!

قال وهو يحني جذعه الطويل على غير العادة ( جذعك طويل.. طويل .. وهي قصيرة .. قصيرة .. فيك جنس وفيها شراهة ! ) وينظر لبلاط الحجرة ويعده :

ـ ابدا .. كان اخي نائما عندنا .. رقد في البلكونة ونام..وطلبت منها غطاء لاغطيه .. ليقوم في الصباح مبكرا الى محل رزقه : دكان المكوه الذي يعمل فيه .. فرفضت .. صاحت في وجهي ورفضت انه اخي على اي حال .. وكان يجب ان اغطيه .. وقمت وغطيته وانا اقول لها : لن انساها لك .. ستقولين لي يوما : غط امي او غط اخي .. وساردها لك .. فصرخت في وجهي بجنون وصفعتني .. ولم احتمل.. رأسي منذ حادث البحرية لا تحتمل الاصوات العالية ...

.. مهما قلت يا رجل فهي لك .. كانت تبحث عن الذكر الذي يدفع لامها اكثر لتتزوجه .. ولما يئست من العثور على من يملك الاثنين.. اكتفت بك .. اطمئن .. لن تتخلى عنك .. اطمئن !

.. تركته يتكلم .. عيناي مسددتان الى عينيه تلهيانه عن النظر الى اعماقي .. انسللت من جواره .. رفعت الغطاء .. نزلت فوق الدرجات .. اعدت الغطاء فوقي .. الظلمة كثيفة رهيبة .. تناهى الى سمعي صوت خرير مياه جارية .. صوت اقدام كثيرة تتحرك .. ليس هناك بصيص من ضوء .. اشعر بالخوف .. تبينت اني تهت .. لكن لا .. ها هي حميدة مقبلة .. تلقتني فاتحة ذراعيها .. جريت اليها .. ارتميت بين احضانها ...

.. بالامس كانت حميدة تجلس مستلقية امامي على سريري الصغير .. عيناي مسددتان الى عينيها .. تخلع لها ملابسها قطعة .. قطعة .. حتى جلد لحمها نظراتي خلعته منها .. قلت لها :

ـ اتعرفين ماذا اريد الان ؟ .. اريدك .. وساحصل عليك

قالت والدم يصعد حارا الى وجهها :

ـ انت مجنون .. انت مخبول

.. اجبت :

ـ نعم انا مجنون وزوجك مجنون .. لكني اقل جنونا منه ..انه يجعلك تقسمين كل ليلة على المصحف الا تخونيه وتمشي فوق الطريق المستقيم .. وانا لم اطلب ـ ولا مرة ـ منك ان تقسمي لي .. وامك رفضت ان تزوجك لي .. لاني لا املك سوى مرتبي .. مرتب موظف في مكتب الصحة ببندر امبابه .. سمنتك للمقاول الذي يتردد عليكم من السيدة .. ليتزوجك فوق ام اولاده الريفية .. لانك « حركة » تلبسين بنطلونا .. وتغنين اغاني شادية .. وتركبين دراجة في القناطر .. وتجدفين في قارب حتى منتصف الليل .. واخيرا جاءت وقعتك مع صبي ترزي كسول لا يملك ماكينة خياطة ولا دكانا ..ويعيش على فتات خبزك في بيوت الخدمة ويصادق البوابين في العمارات التي تخدمين فيها ليعرف خط سيرك ...

قالت :

ـ الحق علي انا ! .. انا التي قلت لك !

قلت لها :

ـ لا حق ولا شيء .. احاول فقط ان اذكرك

.. قالت لتنسى ما قلته لها وهي تمسح شعرها بانفعال :

ـ اتتذكر ليلتنا ؟ اتتذكر تلك الليلة ؟

.. قلت :

ـ كنت مجنونا ليلتها .. محموم بلا اهل .. فوق فراش المرض يهذي و نثى ملتهبه بجانبه .. وتفاحتان وسكين .. وافقت على شفتين ترطبان شفتي .. وامتدت يداي وعانقتك .. وسقطت من يدك السكين والفاحة ...

.. قالت حميدة :

ـ وانا الاخرى كنت مجنونة .. ولكن كيف كان الباب مغلقا علينا في تلك الليلة ؟ عجيبة !

... اغلقته بمسمار ثبته ليمنع اي واحدة منكن من اقتحام الباب علي .. ومع ذلك فامك كانت تشعر بكل شيء وهي نائمة في الصالة.. كانت تنادي بين كل لحظة واخرى: بنت يا حميدة .. قومي نامي يا بنت .. لم تجرؤ على القيام من سريرها لتراك .. تخشاك تلك الرهيبة الطيبة .. ظلت تتقلب فوق سريرها .. تتقلب فوق النار .. انت سيدة البيت تنفقين عليها وعليه !

.. قلت ..

ـ جلست بجانبي على حافة السرير تقشرين لي التفاح .. واخذتك بين ذراعي .. وجدت فيك كل ما يفتقده الغريب المريض المحموم .. عندما يعثر على اهله فجاة ..

.. قالت وهي تحلم :

ـ عجيبة .. عشت حياة غريبة .. لكن الحمد لله .. انا متزوجة الان ...

... ابتسمت بخبث وانا اقول لها :

ـ ملكني الرعب ليلتها .. حسبت انك اصبحت امرأة .. خفت.. خفت كثيرا ولكنك في الصباح ابتسمت لي اول ما قمت .. مددت يدك من تحت الغطاء وامسكت بيدي .. طلبت مني ان اجلس بجانبك على حافة السرير .. ونظرت لي نظرات غريبة .. لم تنظر لي مثلها من قبل .. وكأنك ترينني لاول مرة .. ثم مددت يدك واعطيتني لفافة من الورق الاخضر : احفظ لي هذه النقود معك .. كانت عربون ثقتك بي ...

.. عضت على شفتيها مرة اخرى .. واحمر وجهها كالنبيذ .. واسترخى جسدها على السرير :

ـ وسميحة ؟ الا تقول لي ؟ اكانت عشيقتك ؟

.. تلك القصيرة .. الدقيقة الملامح .. زميلتك في بيت المطرب.. انت جعلتني انظر اليها ... في ليلة عقد قرانك .. احسست اني لا انتمي الى احد .. انا الاخر يجب ان اشارك انسانا مصيره .. والتقت نظراتنا .. ثم انتميت اليها !

... قلت وقد ادركت خبثها :

ـ لم يحدث !

ـ والجديدة ؟

.. نكست رأسي بحزن : ليس الامر .. امر جديدة او قديمة .. انها حكاية الحيرة .. حكاية كل الطيور الصغيرة مثلي .. ومثلك .. لا عش لها .. ولا تعرف كيف تبني العش .. ولو عثرت عليه لبعثرت قشه .. طيور لا تعرف اين تستقر .. ولا اين تبقى .. ولا اين تقف .. ولا اين تطير .. حكاية رعب دائم .. ومطاردة مستمرة ..

... رددت عليها في ضيق :

ـ انت مجنونة !

.. قالت :

ـ انت تراوغني .. كذاب .. كذاب

.. وسكتت قليلا وبدا في عينيها شيء كالفخر :

ـ تصور .. تصور اني ابكيتك ؟!

ـ لم تبكيني انت .. ابكتني الايام التي نراها تمر امامنا .. ولا يمكننا اللحاق بها والوقوف حتى فوق السلم .. لم تكوني الاولى التي ابكتني .. ابكاني غيرك .. ابكي من اجل نفسي ومن اجل كل واحدة.. لاننا لن نلتقي فالجدار الصامت الواقف بيننا يشير الينا : الا فائدة من الاقتراب منه لذلك كنت ابكي مقدما من اجل فراقنا المنتظر !

.. قالت وعيناها وراء الذكرى :

ـ اتتذكر تلك الليلة ؟ .. تأخرت عليك .. كان عندنا زائر .. جلست معه .. تأخرت عمدا لاعذبك .. عذبتك حتى ابكيتك : امسكت بيدي ورحت تجهش بالبكاء وانت تعصرها .. تألمت .. ولكني كنت استعذب المي واشعر بالنشوة تتسلل الى ما تحت جلدي .. انبهرت اول ما رايتك تبكي .. رايتك طفلا بين يدي ! ..

.. زائر ؟ اي زائر هذا الذي تقولينه ؟ شقيق تجار العمارات الذي تبع اختك في الطريق حتى دخل البيت على اساس انه سيتزوجها على سنة الله ورسوله .. واغرقكن في احاديث عن ذهب السعودية الذي عاد به ... هو ولى وجهه لاختك .. وانت وليت وجهك لاخيه... تجلسين معه فوق السرير تلعبين الكوتشينه والفائز يضرب الاخر فوق ظهر يده .. وانا في حجرتي اسمع ضحكاتكما .. فيرتج داخل رأسي كشك السجاير الذي بنيناه معا لتجلسي فيه .. ليساعدنا فوق مرتب الوظيفة عندما اتزوجك رغم انف امك !

.. نهضت قائمة وعلى فمها ابتسامة شيطانية :

ـ واختي ؟ ـ كيف تجمعني ايها الحيوان مع اختي .. ؟ كيف تجمع شقيقتين معا ؟! ... اتعرفين كيف ؟ ـ هكذا تحدث مثل هذه الفرائب .. عندما يأتي عليك الليل في امبابه .. وتجدين نفسك وحيدة معه تحملقين في الظلام ( والقهاوي ) ساهرة .. فتحدثين الليل وحدك.. فيرد عليك .. ليس الظلام وحده هو الذي يرد ؟ بل الجدران والسرير السفري الصغير والمائدة الكسيحة .. والكنبة العارية .. وقتها اشعر ان العالم وحش .. وحش مخيف يجب ان احتمي منه .. احتميت بك اولا .. لكنك كنت تلعبين الكونشينه ببراعة فوق السرير بجانب شقيق الحاج ـ القادم من السعودية ـ رغم انه متزوج ! .. وهكذا احتميت باختك معك .. انها هي الاخرى قدمت الي اوراقا خضراء اعطتها لي


## شعر

من منشورات دار الآداب

★ ★ ★

| | | ق.ل |
|---|---|---|
| ● الاعاصير | للشاعر القروي | ٣٥٠ |
| ● وحدي مع الايام | لفدوى طوقان | ٣٠٠ |
| ● وجدتها | لفدوى طوقان | ٣٠٠ |
| ● اعطنا حبا | لفدوى طوقان | ٢٥٠ |
| ● مدينة بلا قلب | لاحمد ع. حجازي | ٢٠٠ |
| ● عيناك مهرجان | لشفيق معلوف | ٢٠٠ |
| ● ابيات ريفية | عبد الباسط الصوفي | ٣٠٠ |
| ● ابيات مؤرقة | لسليمان العيسى | ٣٠٠ |
| ● في شمسي دوار | فواز عيد | ٢٠٠ |
| ● الفجرآت يا عراق | هلال ناجي | ٢٠٠ |
| ● المشانق والسلام | عدنان الراوي | ٢٠٠ |
| ● حداء وغناء | خالد الشواف | ٢٠٠ |

في خجـــل : « احفظ لي هذه النقود معك ! » وحفظتها لها كمـــا حفظتها لك ! .. كانت مشكلتكن التي رأيتها بقلبي وعيني وعقلي .. هي عثوركن على الرجل الذي يحميكن ويحمي البيت ..

.. ابتسمت .. واعتدلت في جلستي فنظرت لي وقالت :

ـ سررت هه ؟ حتى انك اعتدلت لي يا فاجر !

.. ضحكت وانا اسألها :

ـ قولي لي كيف عرفت ؟ .. كيف عرفت علاقتي باختك ؟

قالت باسف :

ـ رأيتها والنوم ما يزال يملأ رأسي .. وهي تتسلل حافية الـى حجيرتك .. وهرب النوم من رأسي .. وبعد وقت طويل رأيتها تخرج من حجرتك .. وسكنت قليلا لتفسح العنان لذكرياتها .. وتهلل وجههـــا فجـــأة :

ـ ياه ! عشت معنا طويلا .. رأيت كل الرجال الذين عرفتهم ..

.. ورحنا نعدهم معا ونحن نضحك !

ـ حلمي ؟ اتذكره ؟

ـ طبعا اذكره !

.. وراحت تتكلم عنه ..

... حقيقة اتذكره .. حلمي صبي البقال في العجوزه .. هـذا المسكين اول من احبك بصدق .. شاغلته طويلا بتليفون اسيادك وهـو في محل البقالة حتى كاد يجن .. والهبته غراما بك ثم القيت به عند قدمي المقاول !

.. قالت :

ـ كان يغار حتى من ثوبي .. كان ما يزال فلاحا فلم يفهمني !

.. قلت :

ـ حاولت في البداية .. اول ما اقمت عندكم ان اساعده ليفهمك باخلاص

قالت :

ـ ولكنك اخذتني منه ؟!

قلت :

ـ والمقاول ؟ وشقيق النجار ؟ والكهربائي ؟!

وضحكنا معاً .. وقاطعتني وهي تضع اصابعها فوق شفتي :

ـ اسكت .. أسكت .. يا لها من ايام رائعة مضت .. كنـــت كالحمامة .. دائمة الطيران .. اصبحت بعيدة هذه الايام .. اصبحت كالاحلام .. بعد ان تزوجت .. وجاءت ايام الشقاء .. اسمع؟ اتذكـر حفلة عيد ميلادي ؟ .. لا .. لا تقاطعني .. ليلتها ذهبت لاحضـــر الفستان ..

قاطعتها :

ـ لا تقاطعي .. ذهبت مع من ؟

قالت :

ـ انا اعترف .. حقيقة ذهبت مع المقاول ..

قلت اقاطعها :

ـ الم تدعي الرجال الستة الذين كانوا في حياتك ذات يوم ـ وانا من بينهم ؟! الم تقولي لي انك ستختارين حبيبك من بينهم في تلـــك الليلة .. وانت تقفين امام الميكروفون تغنين اغنية شادية : « حبيبـــي اهه » على انغام الفرقة الموسيقية التي جاءك بها المقاول ؟!

قالت :

ـ كنت ساختارك !

.. صحت في وجهها وانا اضحك :

ـ يا حمقاء اكنت لم تختاريني بعد ؟

صاحت هي الاخرى في وجهي :

ـ لا تقاطعني .. ليلتها عدت بفستاني الجديد .. وانا ارقـــص طوال الطريق .. احسست اني في ليلة فرحي حقيقة .. ورحت اجري متلهفة لاراك .. لتراني بالفستان الجديد .. واول ما خطت اقـدامي في داخل الصالة المملوءة بالمعازيم .. تصفحت الوجوه لاراك .. لكني لم اجدك .. وشعرت انك عريتني من فستاني .. انطفأت الفرحة في.. ومع ذلك درت ابحث عنك .. حتى عثرت عليك قابعا في داخل حجرتك .. بجانب مائدة التورته ومعك امرأة ...

... قلت بحزن من الذكرى :

ـ لقد كلفني انتظارك الكثير : زجاجة خمر كاملة .. تصوري أن انتظرك مع الرجال الاخرين .. لتختاري من بيننا واحدا .. بينمـــا المقاول وحده معك .. يدفع وانت تشترين ؟!

.. قالت :

ـ ولكني قبل ان انصرف اخذت منك « كوفيتك » ووضعتها حول رقبتي .. ووضعت لك الفوطه فوق كتفك وانت تفسل رأسك !!

قلت لها بخبث :

ـ يا لئيمة ! لما نظرت في وجهي هالك ما رأيت فيه .. فحاولت ان تهدئي من غضبي وقتما تحتفظين بالمقاول وجيبه !

قالت وهي تحلم :

ـ كل هذا كان زمان .. زمان .. حدث منذ زمن بعيد .. والان ما تالفرح في قلبي ..

.. قلت وانا اسدد عيني في عينيها حتى نفذنا الى داخل جمجمتها فطأطأت رأسها :

ـ اسمعي انا اريدك .. يجب ان تكوني لي .. يجب ان نلتقـــي كثيرا .. انا ليس لي احد .. يجب ان يكون لنا مكان يجمعنا !

قالت :

ـ يا مجنون .. انا زوجة .. انا متزوجة .. انسيت ؟

قلـت :

ـ اتحبينه ؟ اتحبين هذا المجنون ؟

.. كنت اعلم انها لن تكذب علي

قالت :

ـ لا .. لكني .. احترمه .. احترم زواجنا .. رغم انه يدفع بي احيانا الى الحنفية لاتوضأ .. ويتوضأ معي .. ثم يشدني الى حصيرة الصلاة الصغيرة الخاصة بامي ... لاقف معه .. ونصلي معا .. بعدها يجعلني اقسم على المصحف الا اخونه !!

عدت اقول :

ـ اهناك امل فيه ؟

.. قالت بحنان ام :

ـ لعلي اصلحه .. ويبقى لي البيت .. واظل زوجةدائما..واصبح اما في يو مءن الايام .. اتعلم ؟ لو اني طلقتمنه الان فلن اتزوج ثانية .. هذه فرصتي الوحيدة .. اريد ان ابقيها .. لاظل زوجة الى الابد .. ويكون لي اولاد يملئون علي حياتي .. ويعوضون لي ايام الشقاء الذي لاقيته والاقيه في بيوت الخدمة .. انه مجنون .. انا اعلم ذلك .. ولكني ساحاول ان اصلحه .. ولعلي انجح لابقى على البيت ...

... كانت الكلمات تخرج من فمها في يسر وطلاقة فتضيء شفتيها وعينيها بنور غريب .. وشعرت بشعور يشبه الحسرة يتسلل الىقلبي ففلت وقد نهدج صوتي :

ـ على كيفك.. حاولي ! من الحمق ان اقف في وجهك .. جربـي مرة ثانية .. ولكن فكري فيما قلته لك .. واذا احتجت الـــي فاتصلي بي ...

.. قالت :

ـ مالك ؟ .. ما لصوتك قد تغير ؟

قلت وانا اغتصب ابتسامة :

ـ ماذا فيه ؟

قالت بابتسامة عذبة : يأس .. ! .. وانصرفت ..

***

... قبلها باسبوع كانت حميدة في حجرتي .. جاءت مع أمها .. تلبس نظارة شمس سوداء في الليل .. وجلسنا نحن الثلاثة في البلكونة

المطلة على شارع احمد عطيه المقفر الغارق في سواد الليل الفاحم ..

.. حاورتني كثيرا وانا احاول خلع النظارة من فوق عينيها حتى نجحت اخيرا .. ووقعت عيناي على كدمة زرقاء في عينها اليمنى .. وانفجرت حميدة في بكاء حار .. وراحت امها تقص علي حكاية البلكونة والغطاء وشقيق زوجها المكوجي والمعركة والجيران الذين قاموا من نومهم في الفجر ليفضوها !

قالت حميدة :

ـ سأكوم عفشي .. ولتأت معنا ..

.. كأنك تريدنني الان .. انت سقط المتاع ..

.. وابتسمت وانا احاول التخلص من رغبتها :

ـ وزوجك ؟

.. سكين يغرسها في القلب .. تمزق لي الاحشاء .. قد استريح؟ لكن ما الفائدة ! حياتي هكذا افضل من ان تاكلها سكين مجنون !

.. اجابتني ..

ـ لقد انتهى الامر .. لن اعود ..

.. ستعودين يا امرأة .. ستعودين .. هذا المارد يا قصيرة لن تتحملي البعد عنه : الطفل المنتظر .. وسجادة الصلاة . . والمصحف فوق المائدة يبتسم لكما : عرفكما من كثرة المعاملة معه .. والجرس المعلق يا فقيرة فوق سريرك .. كجرس المطرب الذي يستدعيكن به .. والبيجامات الحريرية التي لبستها له ومزقها باظافره .. والليل الطويل .. ستعودين له .. ستعودين ..

.. ابتسمت لها :

ـ اسمعي .. انه مجنون وقد يشك في امر عودتي .. ويظن اني السبب فيما حدث لكما ...

.. يشج رأسي .. يصيبني بالهلع .. لا اتحمل الزعيق مثله .. اطيع في الناس ضربا كما يفعل بك وبامك .. انه يقول دائما : منذ حادث البحرية .. وساقول انا : منذ حادث الزوج الذي شك في .. اتركيني بعيدا عنكما ..

.. قالت :

ـ مات الحب .. بعد تسعة اشهر .. قتله بعقله المخبول

.. قلت وفي نيتي الا اوافقها :

ـ اسمعي يا حبيبتي .. هناك اشياء كثيرة تقتل الحب الان : غلاء الطماطم في السوق .. خلو المحلات من الارز .. ليس الجنون وحده هو قاتل الحب .. اعقلي يا حبيبتي ..

.. قالت :

ـ كأنك لن تحضر معنا ؟

اجبتها كاذبا :

ـ سأحاول ..

.. وانصرفت مع امها ..

... امس الاول شعرت اني اختنق : حارات امبابه تمد اصابعها وتخنقني .. تكتم انفاسي .. تضع اقدامها فوق صدري : امبابه يا وحش .. كسيح .. امبابه يا دروب الوحل .. يا ممر الجمال والحمير .. امبابه يا كآبة .. يا ملل .. الى اين امضي فيك ؟ لمن اذهب واجلس معه ؟ لمن اتحدث واهمس اليه ؟ ..

... حملتني اقدامي الى ام حميدة .. اردت ان اراها .. كنت في حاجة لاجلس مع انثى .. مجرد جلوس ..

.. وجدت ام حميدة متربعة على عرشها : فوق سريرها كالعادة تأكل وتسمن .. تدير مملكتها من فوق السرير .. وهانم ابنة مرسية ـ اخت حميدة ـ تقوم بكل لوازم البيت.. والملكة الريفية الكسول تسمن وتمتلىء .. انت بعشرة رجال يا امونة : تساوين عشرة رجا ل باكملهم.. لكنك ابدا لا تستغنين عنهم ولا عن قروشهم وبواكي الدخان الذي يشترونه لتستعمليه سعوطا من اجل بنتيك ..

... البيت ينقصه الرجل .. عين حميدة تفتقد الذكر .. ارتاحت امونة لمرآي .. دائما كنت استمع لهذه السمينة بشغف وهي تحكي لي حكايتها مع الازواج الخمسة .. كلهم تزوجتهم عن حب ..

... تركتني حميدة اول ما رأتني .. ذهبت الى حجرتها الباردة.. عادت ترتدي بنطلونا ... ياه ! يا بنت الايه .. جئت لاستريح..راحتي اجدها مع الولايا .. لكنك تعودين وتلعبين لعبة الانثى ..

... وجدتني ساهما انطلع الى بنطلونها وابتسم .. فقالت :

ـ تلعب كوتشينة :

... ووجدت الكوتشينة في يدها !

... نفس الكوتشينة عندما جئت الى بيتكم لاول مرة .. ولمحتك عيناي .. ليلتها جلست تضعين ساقا فوق ساق كملكة .. قالت امك واختك مرسية : انك ممرضة تأتين الى البيت كل اسبوع .. لم يقولا انك خادمة !

.. وزعت الورق ببراعة .. ثم راحت تجمعه من بين يدي بخفة ومهارة وانا لا ادري .. وقدماها من تحت المائدة تمسحان جلدي بنزق..

... الانثى تمسح جلدي .. تسلب الورق مني .. اتركيني يا امرأة .. جئت لاستريح . انت تثيرني .. انا متعب .. لست الرجل الذي يقاوم كثيرا ..

... راحت تقهقه وهي تجمع الورق من بين يدي مرات..ومرات..

قالت امها :

ـ غلبتك مرة ثانية ؟

قالت حميدة :

ـ انه لايجيد اللعب!

... ابتسمت انا في اعياء . فعادت حميدة تضحك في سعادة قائلة :

ـ نفسي .. تغلبني مرة .. اغلبني مرة لاستريح !

.. لم ادعها تستريح !

.. عادت تقول :

ـ المحظوظ مع النساء .. لا حظ له في اللعب !


بعد دراسات وابحاث استغرقت عدة سنوات ، تمكن علماء الكيمياء من اكتشاف :

DUO SUISSE

الدواء العجيب الذي يزيل قشرة الرأس والحكاك وبعض تساقط الشعر

مختبرات ديو سويس ـ سويسرا

الوكلاء المعتمدون والموزعون

منيمنة ـ شارع البرلمان ، بيروت

.. المسألة ليست مسألة حظ او لا حظ .. فهنا في عش امبابه ودروبها يذوب الحظ ويموت ويدفن في «الكيت كات» ويجلس عليه رواد الكازينو !

... نامت امونة .. انتصف الليل .. قمت فجأة وانا اشعر بالتعب :

ـ يكفي هذا الليلة

.. قالت :

ـ امكث .. انا لم اعد انام .. امكث معي .. نم عندنا .. سآتي لك ببيجامته تلبسها وتنام فوق سريري .. سانام انا مع امي ..

.. فوق سريره ؟ بدونك ! .. لعلك ستلحقين بي بعدها .. لو نمت عندك فحتما لن اتركك .. استيقظ واتسلل الى حجرتكما واوقظك .. ثم اتسلل بك الى فراشه .. احملك اليه .. صحيح انا اقصر منه .. لكن جوعي سيمدني بالقوة .. لكن الباب يطرق .. زوجك المجنون يدخل : أين هو موظف الصحة آكل لحوم المرضى النيئة ! يقتحم الباب علينا : انت بالبيجامة الحريرية ـ في احضاني ـ وانا عار من كل ثيابي .. ويرفع السكين : اختر لك موتة يا موظف الصحة ؟ .. اقطع لي عنقي مرة واحدة ..مرة واحدة فقط .. قطع عنقي وقال لحميدة : امسحي دمه في بيجامتك ! وتركنا وانصرف !

. قلت وانا اتجه الى الباب :

ـ يجب ان اذهب

.. قالت :

ـ على حريتك ..

.. واتجهت نحو الباب .. اوقفتني فجأة :

ـ اسمع ... اريد ان اشاهد فيلما ..

.. قلت وانا عند الباب:

ـ تعالي غدا .. ساذهب بك الى السينما

.. قالت :

ـ وحدي معك يا مجنون ؟!

ـ ماذا فيها ؟

.. قالت :

ـ انا زوجة .. تذهب امي معنا

.. هذه الثقيلة ؟ جاموسة برية .. ذهبت معها يوما واختك مرسية والنجار القادم من السعودية بتذكرة من المطرب .. لنشاهد فيلما له .. وحاصرتنا انظار الناس ومشاهدي السينما في شارع الالفي .. وكانت ليلة ..

.. اجبتها :

ـ عندما تأتي يحلها ربنا

... انتظرتها امس .. لم تأت .. كنت قد استعددت للذهاب معها .. ارتديت ملابس الخروج .. ولم تأت .. خلعت ملابسي وامسكت بصحيفة داريت في سطورها اسفي وانفعالي .. لكنها رقدت امامي فوق السطور ببنطلونها تبتسم .. واخرجت لي لسانها ثم مددت اصبعها لتحك انفي .. ثم شدت شعري : غبت عليك هه ؟ أترى ؟ اني اقوى منك .. تعال نسبح معا في حمام سباحة كما يفعل المطرب مع عشيقاته ؟ .. لا تعرف السباحة ؟ .. حسنا ساعملك ! ..

... فجأة دق الباب .. خرجت اهرول من حمام السباحة .. دخلت حميدة دون مايوه !

.. تظاهرت بالهدوء .. جلست امامي فوق سريري الصغير ..قلت لها اريدك يا حميدة .. قالت : انت مجنون ....

ـ تصور .. تصور اني عدت الى نزواتي السابقة .. شعرت اني حرة وهو غائب عني .. كلمت من بيت الشغل اصحاب المحلات المجاورين للبيت .. اخذت من كل واحد ميعادا ومكان اللقاء بجوار جامع الزمالك .. حضروا جميعا .. رآهم عبده الطباخ زميلي في بيت الشغل .. ارسلته ليراقبهم : جاء المكوجي .. والبقال .. والجزار والكهربائي.. ظلوا واقفين اكثر من ساعة ينتظرونني صامتين .. لم ينطقوا بحرف مع بعضهم .. ثم عادوا جميعا يضحكون على انفسهم !

.. ضحكنا حتى دمعت عيناانا .. ثم قالت فجأة باسى وكلماتها لها لون الرماد :

ـ يجب ان يكون لي بيت ..

.. قلت بصوتي المتهدج :

ـ كما تحبين .. اعيدي التجربة مرة اخرى ..

... تركتني وانصرفت .. بعد قليل رأيتها تسبح فوقي بلا بنطلون .. جسمها عار .. كلما هممت بامساكها تحلق بعيدا .. بعيدا عن متناول يدي .. اخيرا يئست .. وضعت يدي جانبا .. فجأة وجدتها تهبط فوق صدري .. تحتضنني بقوة .. ثم نامت بجواري في هدوء ! ..

... طار النوم من عيني .. ذهب الهدوء حقيقية ..

... الليلة قادتني اقدامي الى بيت ام حميدة .. طالعتني حميدة عند الباب .. صرخت في همس : ارجع .. ارجع .. الرجل هنا ..

.. لكني دخلت ..

... ما زلت تائها وسط الظلمة الكثيفة .. اسفل الدرجات المائة .. اسمع خرير المياه الجارية.. ابحث عن بصيص من الضوء.. لمحت ذبالة ضوء هناك .. سرت اليها .. عثرت على طريقي الموصل الى اعلا .. وجدت الدرجات المائة : صعدت عليها .. مددت يدي .. رفعت الغطاء ..

ـ اسمحوا لي لحظة ..

... سرت الى حجرة حميدة على الفور : في حجرتي القديمة كانت تجلس وحيدة هناك حزينة فوق سريرها البارد ..

.. جلست بجانبها .. صرخت في وجهي ـ مرة ثانية ـ وهي تهمس:

ـ عندك الجراة لتأتي الى هنا وتجلس بجانبي .. وانت تعلم انه غيور ومجنون ؟!

.. قلت وانا انظر في عينيها :

ـ تريدين العودة اليه.. هه ؟

.. سكتت لحظة .. بدا في عينيها ظل من حنان .. قال صوتها متوسلا :

ـ اريد ان اعود

.. تركتها على الفور كما جئت ..

.. سرت مارا على الرجال الذين يتطلعون الى حذائي وهو يتحرك بحرية في انحاء الشقة بافواه مفتوحة .. اتجهت الى الشرفة : امونة هناك الان .. .. ام حميدة تجلس وحدها في الشرفة : امونة يا ثور .. يا عشرة رجال .. تجلسين وحيدة في الظلمة .. بنيت سدا بينك وبين الرجال : امونة لا تريد الصلح .. انقطع نفس الرجال . لم يجرؤوا على القفز من فوق السور .. ظلوا خلفه يدخنون ويتحدثون في همس..خاف الرجال قوة امونة ! ..

.. سحبت مقعدا في هدوء .. جلست امامها .. احست امونة بالراحة على الفور .. لانت ملامحها القاسية .. قلت لها :

ـ اريد ان اتحدث معك في موضوعها ..

.. صاحت بلا غضب كي لا يقفز الرجال من فوق السور :

ـ عندك .. لا تتدخل في الامر !

.. قلت بهدوء بارد هامس حاد كالسيف :

ـ اسمعيني .. اسمعي كلماتي جيدا .. دعي البلاهة

... نظرت فيما حولها .. شدت علينا باب البلكونة .. اصغت الي .

.. قلت وانا اعلم انها ستفهمني :

حميدة تريد العودة اليه .. المرأة تريد الرجل .. رجلها هنا .. دعيها له .. اتركيه يأخذها ..

... راقبت ملامحها جيدا .. كلماتي اشعلت النار في القلب ..

# طاحونة

..وللاسى ، طاحونة تدور
تذرذر الرماد في الهواء
فتملأ السهول
تكتم الانفاس ،
تخنق الزهور ..
وترسل الغلمان في البكور
ليملأوا السلال بالعظام
من قرارة الكهوف
يخلصوا العظام من مخالب الصقور
ويخرجوا العظام من قرارة القبور

●

تدور في المساء
تدور في الصباح . اذ تدور
تكوم الرمادا
جاعلة بدادا
ما ركب الاله من عظامنا
جاعلة كياننا رمادا
هازئة ، تقول : « لا معادا »

●

تئن في مشارق البدور
تئن في مغارب البدور
لتخلط الصغير بالكبير
وتمزج الخريف بالربيع
تدور لا تكل ! اذ تدور
تكوم الرمادا
جاعلة كياننا رمادا !

●

ويسرق اللصوص في الظلام ،
حين ترقد العيون
من طحنها ، ويصنعون الخبز منه ،
انهم جياع !
خبزا كما في لقمة الزقوم
من غصة تكاد لا تقيم
آكلها الا لقبر ، معبر الجحيم من جحيم ..

●

طاحونة الاسى تدور
ام انها طاحونة الالم ؟
اظنها طاحونة الندم
على هلال ، لاح ، لم يتم
وغاص في الرماد
ليولد اليوم الذي في فجره المعاد .

اعزاز ـ سوريا

**صباح الدين كريدي**

كل كلمة احرقت جزءا منه ..

... كانت تحسب انحميدة موجودة فوق صدرها تلقمها الثدي.. تخفيها عن عيون الرجال بين طيات لحمها وملابسها .. الان فوجئت بها تعض ثديها .. تتدرج من فوق صدرها .. تجري الى حيث يجلسزوجها مع باقي الرجال .. رفعت امونة راسها في بطء وتمتمت وعيناهـــا تشقان الحارة الراقدة في الظلمة :

ـ ياخذها .. ياخذها .. انها امراته ياخذها .. هل انا مانعت ؟!

.. نسيت انها كانت ترفض ..

.. قلت وانا اعيد السؤال عليها لاتاكد من كلماتها :

ـ موافقة اذن ؟

.. قالت وهيتجهش فجاة بالبكاء في صوت عال :

ـ ياخذها .. ياخذها لكنه لن يمكث هنا

... ابكي يا ام الولايا .. ابكي .. انا الاخر من الولايا .. رجل من الولايا .. وددت ان اضربك منذ زمن حتى اراك تبكين .. لانـــك حرمتني من حميدة لانها غاليةالثمن علي .. كفة ميزاني لا يمكن انتحملها .. الان يبكيك الترزي الكسول بعد ان ضربك واخذ الغالية منك ..

.. قمت من مقعدي .. ربت على كتفها بحنان .. همست فـــي اذنها ..

ـ داري دموعك يا امونة .. انتظري وحدتك .. ثم ابكي كمـــا تشائين ..

.. خرجت الى الرجال .. حالما راوني وقفوا مرصوصين كعساكر زمبلك .. تطلعوا الي مشدوهين ينتظرون كلمتي :

.. قلت :

ـ قالت : ياخذها ..

.. تهلل وجه الرجال ..

.. عدت اكمل :

ـ ياخذها بشرط الا يقيما هنا .. !

.. قال الجميع :

ـ موافقون ..

.. تناهى الي صوت حميدة من داخل حجرتها :

ـ لكن ايجار الشقة غال عليها .. من يدفع لها ؟!!

.. قلت فورا دون ان افكر ولا اسالحتى نفسي ماذا اقول :

ـ انا ساقيم معها !

**محمد حافظ رجب**